الفلسفة وقضايا اللغة عند فتجنشتين
من فلسفة التحليل إلى فلسفة اللغة

Philosophy and language issues when Wittgenstein
From the philosophy of analysis to the philosophy of language.

بن خدة نعيمة*

جامعة حسيبة بن بوعلي . الشلف (الجزائر) naimabenkhedda84@gmail.com

تاريخ الوصول2020/07/26 تاريخ القبول 2020/10/23. تاريخ النشر2021/06/01

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على فلسفة مثّلت بحق نقطة انعطاف وتحول حاسمة في تاريخ الفكر الفلسفي المعاصر ، بتغييرها الجذري للمفاهيم الفلسفية الكلاسيكية ومحاولة تصحيحها من جديد، عن طريق اتباع المنهج التحليلي، كما ستقف على جملة التحولات والانتقالات التي عرفتها هذه الفلسفة، من فلسفة تحليل تعنى بمسألة التحليل المنطقي للغة التي تصاغ بها المشكلات الفلسفية، وذلك لمحاولة إثبات أن تلك المشكلات التقليدية لم تكن في الأصل مشكلات، وإنما كانت نتيجة سوء فهم للغة، إلى فلسفة لغة تعنى بتوظيف اللغة أو الاستخدام الفعلي لها، وبعبارة أدق من حدود اللغة إلى ألعاب اللغة.

الكلمات المفتاحية: فتجنشتين، اللغة، الفلسفة، التحليل، المعنى ، ألعاب اللغة .

Abstract:

This study aims to shed light on a philosophy that truly represented a decisive turning point and transformation in the history of contemporary philosophical thought , by radically changing classical philosophical concepts and trying to correct them again ,by following the analytical method , as it will stand on the total transformations and transition that this philosophy has know ,from the philosophy of analyzing it is concerned with this issue of the logical analysis of the language in which philosophical problems are formulated, in order to try to prove that these traditional problems were not originally problems ,but rather were the result of a misunder standing of the language, to a philosophie of language concerned with the employment of the language or the actual use of it , and more precisely from the limits of language games .

Keywords : Wittgenstein, language , philosophy , analysis, meaning langague games.

*المؤلف المرسل

1 . مقدمة:

لودفيغ فتجنشتين.WittgensteinL (1889 . 1951)م، كان ولا يزالشخصية محورية في فلسفة القرن العشرين،هوأمر لا يمكن أن ينكره إلا من كان يفتقر للحس الفلسفي العميق والنظرة المتأملة. ولعله من غير المبالغة إذا قلنا أنه مثّل بالنسبة لتاريخ الفلسفة نقطة انعطاف حاسمةوبداية لمفهوم جديد عن التفلسف وفاعليته، ونلمس ذلك من خلال جذرية تساؤله وقوة تفكيره، وتصميه على إعادة تشكيل المشهد الفلسفي وما أحدثه من ثورة منطقية وتحليلية على الفلسفة التقليدية بأسرها.

وبالرغم أنه لم يتبع نظاما تعليميا يؤهله للدخول إلى عالم الفلسفة، إلا أنه لا يمكن لأحد أن ينكر مواهبه. وانجازاته في تاريخ الفلسفة ،فما يعرف الآن بالفلسفة العلاجية، وفلسفة اللغة الجارية والوضعية المنطقية . . كان بتأثير من نظرياته وأفكاره، ومنهجه في تحليل اللغة ونظرته إلى العالم. وهو بذلك وجّه إهتمام الفلاسفة المعاصرين إلى دراسة اللغة من جهة، ومن جهة أخرى جعل هدف مشروعه الفلسفي الأساسي هو المحاكمة الصارمة للميتافيزيقا التقليدية، قصد امتحان صلاحية مقولاتها كمرحلة تمهيدية للوصول إلى التقويض الكامل لها وتجريدها من أي معنى.

ورغم أن علاقته بالفلسفة كانت متذبذبة ومترددة أحيانا كثيرة ،إلا أن ذلك لم يمنعه من الابداع فيها حيث نجده يخرج . بعد فترة من التردد ـ رسالتهالمنطقية الفلسفية، والتي مثّلت . حسب تقسيم أغلب المفكرين . فلسفته الأولى، ثم يبتعد من جديد عن الفلسفة لمدة عشر سنوات ليعود إليها ويبدع من جديد كتابه بحوث فلسفية، والذي مثل فلسفته المتأخرة، وبين المرحلتين ناقش الكثير من القضايا الفلسفية.

لذلك فالهدف من هذا البحث هو رصد تلك التحولات والانتقالات المعرفية التي عرفتها هذه الفلسفته، والتي كان لنظرته إلى اللغة أثر كبير فيها، حيث انتقل من تصور معين ونظرة سكونية ثابتة ترى منها رسما للواقع ـ كما عبر عنه محتوى الرسالة إلى نظرة ديناميكية ترى فيها ـ أي اللغة ـ شكل أو نمط حياة جسدتها أعماه الأخيرة خاصة كتابه بحوث فلسفية.

ومن هنا تكون المشكلة التي نسعى إلى معالجتها في هذه الدراسة تتعلق أساسا بأسباب التحولات التي عرفتها فلسفة فتجنشتين من فلسفة تحليل تبحث عن حدود اللغة ومهمتها الايضاح المنطقي للغة، إلى فلسفة لغة تعنى بتوظيف واستعمالات اللغة.

أما المنهج الذي سنتبعه فهو المنهج التحليلي، الذي يستهدف تحليل أفكار الفيلسوف إلى عناصرها الأولية من أجل الوقوف على مضامينها وخلفياتها وكيفيات توظيفها والغرض من ذلك التوظيف، إضافة إلى بعض أدوات المنهج المقارن مادام البحث يتحدث عن فلسفتين مختلفتين لفيلسوف واحد فلا بد من الوقوف على بعض نقاط الاختلاف والتقاطع، وسنعتمد على المنهج النقدي كمنهج ضروري لتقييم فلسفة .

2 . فتجنشتين وخلفياته الفلسفية.

لا بد للمتأمل لمسيرة الفيلسوف النمساويلودفيغ فتجنشتين الفلسفية أن يلاحظ جملة التحولات المحورية التي شهدتها هذه الفلسفة،والتي لاشك أنه كان للظروف التي مرت بها حياة الفيلسوف دورا كبيرا فيها، فمن حب الفتى فتجنشتين للموسيقى، إنتقل إلى الاهتمام بدراسة الهندسة ثم هندسة الطيران.إلى تصميم رفاص المحركات، وكان هذا التصميم في أساسه عملية رياضية ، الأمر الذي وجههإلى الاهتمام بالرياضيات، فاتجه أولا إلى الرياضة البحتة ثم إلى أسس الرياضيات والمنطق، بتوجيه من أصدقائه وأساتذته، خاصة الفيلسوف فريجه .FregeF. L (1848. 1925)، والفيلسوف والرياضي لبرتراند راسل (1872-1970)*Bertrand* **RUSSEL**الذي نصحه بقراءة كتابه " أصول الرياضيات" الذي نشره عام 1903م، والاطلاع أعمال فريجه، وكان "المنطق الجديد" الذي يعد كل من راسل وفريجه من أبرز ممثليه، هوالباب الذي دخل منه إلى عالم الفلسفة[1]، ولو أن علاقة فتجنشتين بالفلسفة كانت قبل ذلك بسنوات، حيث كانت أولى قراءاته في الفلسفة، والتي تركت في نفسه تأثيرا عميقا ، هي فلسفة شوبنهاور (1788. 1860)م Schopenhauer المثالية بصفة عامة، " ويبدو ذلك التأثر في كل الميول المثالية الواضحة في فلسفته وخاصة في فكرة الأنا وحديةsolipsism* السائدة في رسالته المنطقية الفلسفية، وفكرته عن الحد Limit سواء حد العالم أو حد اللغة وكذا فكرته عن القيمة ... وغيرها من الأفكار التي يمكن فهمها بوضوح أكثر في ضوء فلسفة شوبنهاور".[2]

التحق فتجنشتين بكمبردج لدراسة الفلسفة وأسس الرياضيات بتشجيع راسل بعد أن أعجب بما قرأه من كتابات له فيها. وكانت هذه المرحلة أخصب في حياته الفكرية خاصة بعد لقائه بمور(1873. 1958)م G.mooreوفي هذه الفترة نشر الرسالته المنطقية الفلسفية،وكان ذلك سنة 1921م،لكن سرعان ما انقطعت علاقة التلميذ بأستاذهبسبب الحرب العالمية الأولى،وبعد الحرب اشتغل بالتدريس لمدة ستة سنوات ليتركه بسبب مشاكل جعلته يدخل في حالة اكتئاب وعزلة[3]، لكنه سرعان ما أخرج نفسه من عزلته ليعود من جديد إلى كمبردج عام 1928 ويحصل منها على شهادة الدكتوراه بعد سنة، وكان البحث الذي تقدم به للحصول على هذه الدرجة هو " رسالة منطقية فلسفية" ، وبقي هناك إلى غاية عام 1930، ثم سافر إلى النرويج معتزلا قرابة السنة بدأ خلالها في تأليف كتابه " بحوث فلسفية " لكنه عاد إلى كمبردج عام 1938 ليخلف جورج مور على كرسي الفلسفة حتى عام 1948، حيث اعتزل بالريف الإيرلندي و توفى عام 1951 متأثرا بمرض السرطان[4] .

3. أثر اللغة في تحولات فلسفة فتجنشتين:

إن المتأملفي فلسفةفتجنشتين سيكشف لا محالة أن سبب التحولات التي تميزت بها يتعلق أساسا بالمنهج الذي اتبعه في أعماله الفلسفية، وهومنهج التحليل، الذي يهتم بتحليل العبارات اللغوية التي تصاغ بها المشكلات الفلسفية. وقد توصل من خلال منهجه هذا إلى نتيجة مفادها أن أغلب المشكلات الفلسفية ليست مشكلات حقيقية بل مشكلات زائفة ترتبت على سوء فهم منطق اللغة.

ومن هنا أصبح تحليل اللغة هو العمل الأساسي للفلسفة، والمقصود بتحليل اللغة هنا ليس من حيث هي مجرد ألفاظ (لأن ذلك من اختصاص علماء اللغة) وإنما من حيث ما تنطوي عليه من أفكار ومعارف. وانتقل مجال البحث الفلسفي عنده من الأشياء في ذاتها إلى العبارات والألفاظ التي يقولها الفلاسفة وتحليلها لبيان ما له معنى منها وما لا معنى له، بناء على اتفاقها أو اختلافها مع قواعد الاستخدام العادي للغة[5]، وأصبحت مهمة الفلسفة هي تحليل لغة المشكلات الفلسفية والتوضيح المنطقي للأفكار، حيث يقول في هذا الصدد:" إن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار. فالفلسفة ليست نظرية من النظريات بل هي فاعلية. ولذا يتكون العمل الفلسفي أساسا من توضيحات. ولا تكون نتيجة الفلسفة عددا من القضايا الفلسفية، إنما هي توضيح للقضايا. فالفلسفة يجب أن تعمل على توضيح وتحديد الأفكار بكل دقة، وإلا ظلت تلك الأفكار معتمة ومبهمة ـ إذا جازلنا هذا الوصف." [6] .

وبهذا المعنى فإن الفلسفة . في نظره ـ هي فاعلية وليست مجرد نظام ميتافيزيقي أو مذهبا من النظريات التي تبحث في القضايا الزائفة ،وهذه النظرة الجديدة للفلسفة جعلته يصب اهتمامه على اللغة وكيفية عملها، وهذا الاهتمام نتج عنه دراسة معمقة للغة شهدت مجموعة من التحولات والانتقالات " فقد نظر إلى اللغة في مرحلته المبكرة وكأنها تملك منطقا واحدا وماهية واحدة، وكان ينظر إليها من منطلق نزعة صورية. إلا أنه تحول بشكل تدريجي للاهتمام بالجانب الاستعمالي للغة ونبذ الرؤية الماهوية وصولا إلى رؤية للّغة بوصفها لعبة. وقد انتهى إلى وضع نظرية متماسكة في ألعاب اللغة لازالت إلى غاية اليوم أفضل نموذج لغوي برغماتي استعاره أغلب الفلاسفة ووظفوه في اشتغالاتهم الفلسفية"[7].

وهكذا وبفضل جهود فتجنشتين أصبحت الفلسفة منهجا أو أداة علاج، منهجا لتوضيحالإلتباس والغموض الناتجين عن سوء فهم منطق اللغة،(حسب أعماله الأولى)وأداة علاجية مهمتها تصحح الاستعمال الخاطيء لعباراتها (في أعماله المتأخرة)، وقد وجه بذلك اهتمام الفلاسفة من بعده إلى البحث عن طبيعة العبارات التي نقولها عن الأشياء أو القيم ...وغيرها وليس الأشياء نفسها.

4. من حدود اللغة إلى حدود ألعاب اللغة:

4. 1 ـ النظرية التصويرية للغة:

تعتبر النظرية التصويرية للغة إلى جانب نظرية الذرية المنطقيةركيزتان أساسيتان لمؤلف فتجنشتين "رسالة منطقية فلسفية"، ورغم احتواء الكتاب على العديد من النظريات ، كنظريته في طبيعة المعنى و الأنا وحدية .. وغيرها، إلا أن النظرية التصويرية والذرية المنطقية مثّلتا أساس كتابه، ومنهما تتفرع الأفكار الأخرى.

والذرية المنطقية، هو مصطلح جاء به برتراند رسل كإسم أطلقه على فلسفته الخاصة في مجموعة محاضراته التي نشرت عامي 1917 / 1918، وقد أطلق عليها هذا الاسم نظرا لأنها ـ فيما يقول :" تنظر إلى العالم على

أنه مؤلف من كثرة من الأشياء منفصلة، ولا تعد الكثرة الظاهرة في العالم مظاهر وتقسيمات غير حقيقية لحقيقة واحدة لا تقبل الانقسام.وهي منطقية لأن الذرات التي أريد التوصل إليها هي في التحليل النهائي ذرات منطقية، وليست ذرات فيزيقية"[8].

وقد تأثر فتجنشتين بالنظرية الذرية في رسالته، حيث اعتبر أن العالم ينحل إلى وقائع، وتمثل الواقعة الوحدة الأولى التي ينتهي إليها تحليل العالم، وهي تتكون من أشياء، وهذه الأشياء بسيطة و ليس لها وجود مستقل ولا تتصف بأي صفة إلا عندما تكون مندمجة مع غيرها ضمن واقعة ذرية.

وانعكس تأثر فتجنشتين بالنظرية الذرية على تحليله للقضية اللغوية، وجعل من وجود الوقائع أوعدمها أساسا لأقامة تصوره الفلسفي للقضية ،حيث اعتبر أن اللغة هي مجموعة من القضايا المفيدة، والقضية عنده تنقسم إلى وحدات صغيرة وبسيطة تسمى بالقضايا الأولية، وهذه القضايا الأولية تقابل الوقائع الذرية، وينطبق عليها نفس ما ينطبق عليها، فإذا كانت الوقائع الذرية هي أبسط ما ينحل إليه العالم الخارجي فإن القضية الأولية كذلك أبسط نوع من الكلام ذي المعنى يمكن أن تنحل إليه اللغة، وهي ـ القضايا الأولية ـ بدورها تتكون من مجموعة أسماء تقابل الأشياء التي تكون الواقعة الذرية، ومن جهة أخرى فإن اللغة لا يمكن تجسيدها في نسق دلالي مؤسس، إلا إذا كانت القضايا التي تتألف منها دالة على وقائع.

1.4 .1ـ اللغة رسم للواقع الخارجي:

أصبحت اللغة مع فتجنشتين ـ وبتأثير من النظرية الذرية ـ رسما أو تصويرا للواقع الخارجي،ويتضح ذلك من قوله :"إننا نكون لأنفسنا رسوما للواقع"[9] ، ويقصد بالرّسم هنا القضية التي نعبر عنها بألفاظ معينة أوالمفهوم الذي نفهمه من علامة القضية، ويقابل ذلك في الوجود الخارجي الواقعة فالقضية ـ عنده هي عبارة تحمل معنى وصدقها مرهون بوجود مقابل لها في الواقع الخارجي، حيث يقول في هذا الصدد:" إننا نستخدم العلامة المدركة بالحواس التي تتألف منها القضية (علامة صوتية أو مكتوبة...) نستخدمها كما لوكانت ظلا يعكس ما يمكن أن يكون حادثا من أمور الواقع. وتفكيرنا في معنى القضية هو عبارة عن النظر في مسايرة الظل لأصله[10] ،فلكي يتحقق الانسجام بين الرّسم والواقعة، يجب على العناصر التي يحتويها أن تقابل عدد الأشياء المكونة للواقعة. وأن تكون في الوقت ذاته مترابطة على نفس النحو الذي تترابط به عناصر الواقعة. ولما كان الفكرهو الرّسم المنطقي للوقائع فإن علامة القضية هي العلامة التي يعبر بها عن الفكر ، وهذه العلامة (سواء كانت صوتية أو مكتوبة) تدركها الحواس. وأصبح بذلك معنى الكلمة هو الشيء الذي تمثله أو تشير إليهو الفكرة هي التركيبة اللغوية المعينة.

كما اعتبر أن صدق القضايا الأولية ووجود الوقائع الذرية أمران مرتبطان ببعضهما البعض، حيث أنه إذا كانت القضية الأولية صادقة كانت الواقعة الذرية موجودة ، وإذا كانت القضية الأولية كاذبة لا يكون للواقعة وجود، بمعنى أن قيمة الصدق هنا هي التي تحدد العلاقة بين القضية والواقعة، وهي نفسها التي تحدد معناهما ،ومن

مجموع الصور اللغوية الصادقة يتكون العلم، ومن مجموع الوقائع يتكون العالم.وإذا صح هذا تحول السؤال الذي يسأل عن علاقة الفكر بالأشياء إلى سؤال يسأل عن علاقة اللغة بالأشياء.

4 .1. 2 ـ الوظيفة المشروعة للفلسفة:

أصبح المنهج الصحيح للفلسفة يقتصر علىألا نقول شيئا إلا ما يمكن قوله بوضوح. أما ما لا يمكن التحدث

عنه بوضوح فيجب أن نصمت عنه. والشيء الواضح الذي له معنى، هو قضايا العلم الطبيعي،أما ما يجب تجاوزه والصمت عنه هو الميتافيزيقا والأخلاق والجمال...وغيرها من قضايا الفلسفة، فهي لا يمكن التعبير عنها، ولا تشير إلى وقائع معينة ومحددة، ولا تعطي أي معنى لعلامات قضاياها، لأن الواقع الخارجي" ليس فيه ما هو أحسن أو أسوء، ولا ماهو جميل أو قبيح، ولا ما هوخير ولا شرٌّ في ذاته، فلا يوجد في العالم سوى الأشياء ترابطت في وقائع على نحو أو آخر" [11]، وبالتالي فتلك القضايا هي مما لا يمكن قوله،كما لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة لأنها خارج حدود اللغة والعالم ولا تنتمي إليهما،مادامت حدود اللغة في نظره تنتهي عند صياغة الواقع الفعلي القابل للتحقق الذي يجعل ما هو خارج عن العبارات الواقعية شيئا فارغا خاليا من المعنى، وهنا يظهر الجانب العلمي للغة وسعي فتجنشتين إلى إخضاع اللغة إلى نموذج علمي كما دعا إليه بعض الفلاسفة من قبل . نقول علمي لأن العلمي "لا يمكن حصره فقط في لغة الفيزياء أو الكيمياء وغيرهما ـ لأنه يضم العلوم الصورية كالرياضيات والمنطق، كما هو الحال في أيديوغرافيا عند فيخته أو في اللغة الكاملة منطقيا عند راسل"[12] والنظرية التصويرية للغة لا تخرج عن هذا السياق،حيث أراد فتجنشتين للفلسفة أن تتحدث عن قضايا العلم وجعل وظيفتها الوصف، و الوصف أحد خاصيات لغة العلم، وهو في نفس الوقت لا يطالب الفلسفة بأن تنتج قضايا علمية لأن ذلك ليس من اختصاصها فهي فاعلية للتوضيح.

ومن هنا فإن وظيفة اللغة المشروعة فلسفيا ـ عند فتجنشتين ـ هي التسمية أو الوصف وتوضيح ما نعرفه بالفعل من قبل عن طريق آخر غير الفلسفة، لأن كل ما يقوله الفلاسفة من قضايا وما يثيرونه من أسئلة ومشكلات هي مما لا يقال،وإذا قيلت لم تكن صادقة ولا كاذبة وإنما خالية من المعنى، بمعنى أن الفلسفة هي التحليل النقدي للغة، أوبمعنى أكثر دقة هي التحليل النقدي لأساليب الفلاسفة في الكلام ، وهدف هذا التحليل إيضاح الطريق لقول القضايا ذات المعنى فقط، وكأنه بذلك قدحكم على الفلسفة بالصمت، وحصر مهمتها في التوضيح المنطقي للأفكار ووضع أطر لجعل التفكير واضحا.

2.4 ـ نظرية ألعاب اللغة:

إذا كانت "الرسالة"تمثل فلسفة فتجنشتين الأولى ـ كما سبق وأن أشرنا ـ فإن كتاب "بحوث فلسفية" هو تعبير عن فلسفته المتأخرة، وقد فصلت بين الفلسفتين مرحلة إنتقالية، قام فيها الأخير بمراجعة نقدية لفلسفته

الاولى بنى على إثرها معالم فلسفته المتأخرة، فعلى الرغم من أنه صرّح وبكل ثقة في الرسالة بأنه إستطاع أن يحل المشكلات الأساسية التي ميزت الفلسفات السابقة. لكنّه سرعان ما تنبه للأخطاء التي ارتكبها ولعل سبب ذلك، تلك المناقشات التي جمعته مع جملة من الفلاسفة كفرانك رامزي F. RAMSEY (1903 . 1930)وبعض الفلاسفة المنتمين إلى حلقة فينا أمثال موريس شليك M.schilick(1882 . 1936) وفريدريك وايزمان (1834. 1914) .F . waismann ، وكذا مناقشاته مع الاقتصادي الايطالي سرافا (1898 . 1983). P. Sraffa والتي كانت سببا مباشرا في تراجعه عن الكثير من أفكاره، فقد تخلى عن نظريته التصويرية للغة . بعد نقد سرافا لها ، وتبيانه له أن القضية قد لا تحمل نفس الصورة التي يوجد عليها الشيء الذي تصفه.

4. 2 . 1 . نظرية الاستعمال واللعبة اللغوية:

انعكست تلك الافكار الجديدة على نظرته إلى اللغة، حيث لم تعد نتاجا لقضايا تعبر عن الواقع الخارجي، كما لم تعد القضية المحور الأساسي الذي يبني عليه فهمه للواقع، ولا الشكل المنطقي يقرر الحقيقة والكذب، ولم تعد للعلاقة بين القول والواقع المكانة نفسها.

ومن بين النظريات الجديدة التي ارتكزت عليها أعمال فتجنشتين المتأخرة ما يسمى بنظرية الإستعمال التي تنص على أن «معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة»،أي معرفة الإمكانات النحوية لإستعمالها، أو بعبارة أخرى : معنى الكلمة هو الغرض منها، فبعد أن كان يصوّر المعنى على أنه تمثيل، أصبح يعتبره استعمالا ، وبما أن الأغراض من استخدام الكلمات تختلف من شخص لآخر ومن مجتمع لآخر ومن زمن لآخر، فإن اللغة ليست قوالب جامدة ولا صياغات محدودة ، ومن هنا رفض الفكرة التقليدية للمناطقة القائلة بأن القضية تشتمل على محتوى وعددا محدودا من الاستعمال:السؤال والأمر والتقرير،لأن هناك أنواعا مختلفة لا تحصى من الاستعمال للجمل والكلمات، وعلى اللغة أن تتحرر من الصورة العامة التي كان يفرضها عليها المنطق و تواكب ذلك التنوع في الاستعمال.

وإضطر فتجنشتين إزاء تنوع استعمالات اللغة واختلافها إلى اصطناع حيلة جديدة هي ألعاب اللغة،ويقصد بالألعاب اللغوية العمليات التي ننجزها بواسطة الرموز[13]، وقد شبّه اللغة باللّعبة لعدة اعتبارات، فمن المعروف أن اللعبة هي فعل يقوم به شخص أو مجموعة أشخاص بصفة متكررة، وهي من حيث الشكل مكونة من قطع وأشكال تكتسب كل قطعة فيها قيمتها من بقية القطع أو الأشكال ولكل لعبة قوانينها الخاصة، كذلك اللغة ـ في نظره ـ كاللعبة تماما نسق مكون من ألفاظ يأخذ كل منها مكانه ضمن الألفاظ الأخرى،ولها قوانينها وهي مؤسسة اجتماعية،لا يمكن تصورها خارج عمليات التبادل لذلك ارتبطت اللغة بشكل حياة[14]، فاللغة هي مجموعة أنساق،وكل نسق من هذه الأنساق يحتوي على مجموعة من القضايا المرتبطة فيما بينها بشبكة من العلاقات، ويقينية كل قضية مرتبطة دائما بنسق ما،ولكل نسق لعبته اللغوية الخاصة، كما أن اللغة ترتبط بشكل

حياة، فهي تدخل في نسيج الوجود البشري والحياة البشرية، وتتأتى كثرة مضامينها ومعانيها من خلال استعمالاتنا المختلفة وتعاملنا مع غيرنا.

وبالتالي فالوقوف على معاني الكلمات لم يعد كافيا لتحديد معنى جملة ما أوالتعبير عن واقعة ما، بل لا بد من معرفة كيفية استخدام معاني الكلمات في اللغة.إذ لم يعد المعنى متعالقا بالتحققية، بل بنحو اللعبة اللغوية أي باستعمالها[15]،وبعدما كانت وظيفة اللغة تصوير للعالم الخارجي، أصبحت وسيلة للتفاهم مع الأخرين والتأثير فيهم، حيث يقول:" بدون اللغة ما كنا نستطيع أن نتصل ببعضنا البعض فقط بل أقول أيضا بدون اللغة لا يمكن أن نؤثر في غيرنا من الناس على هذا النحو أو ذاك ...ولم يكن ليمكننا إقامة الطرق وبناء الآلات[16]، ويقصد باللغة هنا اللغة العادية لا المنطقية ولا غيرها، اللغة التي يتخاطب بها الناس.

ومن هنا يمكن القول أن فتجنشتين قد تحول عن النظرة السابقة إلى اللغة كصورة ثابتة لا زمانية إلى الاهتمام بوظيفة اللغة واستعمالاتها. إنّه تحول من خلال الاهتمام بشكل ونمط الحياة بدلا من الشكل المنطقي[17].فإذا كان في الرسالة المنطقية قد جعل من المنطق نموذجا يجب أن ترتقي إليه لغتنا فإنه أصبح يرى أنه على المنطق أن ينزل إلى لغتنا، وإذا كان في مرحلة ما من حياته قد تأثر بما ذهب إليه بعض الفلاسفة بأن اللغة الفلسفية مصدر قصور في تاريخ الفلسفة ولابد من البحث عن لغة جديدة للتعبير عن إشكالياتها شبية من حيث دقتها ووضوحها بلغة الرياضيات .إلا أنه تحرر من تلك التأثيرات وبدت آراؤه أكثر وضوحا واستقلالية في أعماله المتأخرة حين رفض البحث عن لغة خاصة بالفلسفة وأعاد الاعتبار للغة العادية.

4. 2. 2 ـ مهمة الفلسفة الجديدة:

بعد أن كان يرى بأن الفلسفة حكمت على نفسها بالصمت وأعلن نهايتها مادامت أظهرت حدود المباح قوله أصبح فتجنشتين يرى أن وظيفة الفيلسوفهي توضيح اللغة التام ومشاهدة تنوع استعمالات الكلمة من خلال توضيح كل أشكال الألعاب اللغوية، وهي مهمة لا تنتهي أبدا بل هي ديناميكية تتجدد بتجدد اللغة ذاتها، فمهمته "هي أن يرينا من وراء تعدد الألعاب اللغوية ومراوغات اللغة تطورا طبيعيا ـ على غرار تطور الأجناس ـ للغات بدائية ولأشكال أولية، أي على الفيلسوف أن يعود بنا إلى الألعاب اللغوية التي تمثل الأشكال البدائية البسيطة في التواصل"[18].

وإذا كانت مشكلة الفلسفة في أعماله الأولى تكمن في عدم فهم منطق اللغة التي صيغت بها المشكلات الفلسفية فإن مشكلتها ـ حسب أعماله الأخيرة ـ هو سوء إستعمال اللغة العادية، فالمشكلات الفلسفية أصبحت ـ في نظره ـ عبارة عن سوء فهم يزيله توضيح القواعد التي تطبق في استخدام الألفاظ ، سواء كان على المستوى الخارجي (التعامل مع العلامات) أو الداخلي (التعامل مع العلامات). لذلك بات على الفيلسوف أن يسهم في إحباط ألاعيب اللغةعن طريق إلغاء مواقع الخلط النحوي في مستويي الاستعمال الداخلي

والخارجي، من خلال ملاحظة التطابق بين القواعد والاستعمال حتى تتضح المواضع التي وقع فيها الخطأ. فأصل المشاكل الفلسفية هو . حسب تعبيره ـ" نوع من الوهم ناشيء عن تشعب نحو اللغة اليومية وتراكب مستوياته"[19]وسبب ذلك الخلط هو محاولة إقامة التواصل بين لعبة لغوية وأخرى ودمج الأنساق اللغوية، ويقصد بالوهم هنا المسائل الميتافيزيقية ، والتي يعتبرها بمثابة عقد أدخلناها في أذهاننا بطريقة غير معقولة نتيجة ذلك الخلط والدمج، والفلسفة وحدها هي التي تعالج ما أسماه بالتعقيد الماورائي، ومهمتها أن تحل هذه العقد عن طريق الاشارة إلى مواضعها بوصف الشكل النحوي، ومحاولة إقامة حدود فاصلة بين لعبة لغوية وأخرى وبين كل نسق وآخر، لأنه لا يمكن الحديث عن لغة فلسفية واحدة لكل الأنساق، ويعطي مثالا على ذلك في قوله:" عندما يستخدم الفلاسفة لفظة ما «معرفة »،« وجود »« شيء »، « قضية»، «إسم»، ويسعون جاهدين إلى إدراك جوهر الشيء، علينا أن نتساءل دائما . هل إن هذه اللفظة تستعمل فعلا بهذه الطريقة العادية في اللغة، حيث موطنها؟ نحن نحوّل الألفاظ من استعمالها الماورائي إلى استعمالها اليومي"[20]ومن هنا فهو يجعل هدف الفلسفة إعادة الدلالة الأصلية للألفاظ قبل أن ينحرف بها التفكير الماورائي.

إن مهمة الفلسفة الملاحظة والاشارة والوصف والتوضيح وتقديم نظرة شمولية عن استعمالات اللغة المختلفة دون أن تتدخل في الاستعمال الحقيقي للغة، مهمتها علاجية بالدرجة الأولى : علاج أي إضطراب لغوي أو سوء توظيف ومهمتها تتطلب تدخل اللغة مادامت كلماتنا تستمد حياتها من خلال استخدامها في اللغة .إنها ليست مطالبة بتقديم تفسير أو استنتاج بل هي مطالبة بأن تتجنب كافة الأسئلة التي تضعها موضع شك وارتياب وتعقيد، وهي غير مطالبة بالإتيان بالجديد بل بتنظيم ما وقعت ملاحظته منذ زمن.

5 ـفتجنشتين في ميزان النقد:

من خلال تتبع مراحل فلسفة فتجنشتين يتبين أنه قد قام بمراجعة جذرية شاملة لأفكاره، جعلته يتخلى عن الكثير من أفكاره الأولى التي وردت في عمله "الرسالة"،ويعتبر أن بعض ما أصدره فيها من أحكام ـ «كحكمه على يقينية أفكاره الواردة في الرسالة، و أن ما هو أساسي في مشكلات الفلسفة قد تم حله بصفة نهائية» بمثابة أخطاء جسيمة يجب التخلي عنها، أو على الأقل وضعها في سياق أوسع وتحليل أعمق، وهو بذلك يكون قد وجه لنفسه نقدا ذاتيا،وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى تحليه بالصدق والأمانة والشجاعة.

ومن خلال نقده الذاتي سنركز على بعض النقاط الأساسية لإعطاء نظرة نقدية من جهة، ومن جهة أخرى إظهار موقع فلسفة فتجنشتين في تاريخ الفلسفة المعاصرة .

5. 1 ـ رؤى نقدية:

لعل أهم نقطة يمكن الحديث عنها هي مسألة موقفه من الميتافيزيقا، فهذا الموقف ينم عن مفارقة، حيث اعتبر في عمله الأول" الرسالة" أن القضايا الميتافيزيقية خالية من المعنى، وهي مما لا يمكن قوله، معتمدا في ذلك

على نظريته التصويرية، وهذه النظرية نفسها حسب الكثير من نقاده نظرية غامضة تثير أسئلة عديدة ولا تحدد طبيعة التصوير تحديدا دقيقا، كما أن موقفه من الميتافيزيقا جعله يحكم على أفكاره الواردة في الرسالة بأنها أشباه قضايا أو لغو مادامت أقوالا فلسفية، حيث يقول:" "إن من يفهمني سيعلم آخر الأمر أن قضاياي كانت بغير معنى"[21] ثم نجده يصرّح في موضع آخر بأن هذا اللغو هو لغو هام لأنه قد ساعد على كشف أن قضايا الفلسفة خالية من المعنى وأن مشكلاتها زائفة وشبه أفكاره بالسلّم الذي نستعمل درجاته في الصعود إلى أعلى ثم نتجاوزها.وهذه المفارقة جعلته محل نقد الكثير من الفلاسفة " مثل كارناب الذي قال :" إنني لا أوافق فتجنشتين على معنى اللغو الهام، لأن موقف فتجنشتين لا يبدو متسقا مع نفسه.فهو يخبرنا أن الانسان لا يستطيع أن يقول قضايا فلسفية، وما لا يستطيع الإنسان أن يتكلم عنه يجب عليه أن يصمت عنه. إلا أنه بدلا من أن يكون صامتا، نجده يكتب كل هذا الكتاب في الفلسفة[22].

ورغم رفض فتجنشتين للميتافيزيقا كحال كل فلاسفة التحليل إلا أنه لم يستطع الهروب من حبالها في الكثير من المواضع في رسالته كفكرته المحورية : أي الذرية المنطقية التي هي افتراضات أولية ميتافيزية ليس لها ما يبررها في الواقع التجريبي.

5 .2 ـ موقع فتجنشتين في الفلسفة المعاصرة .

بالرغم من الانتقادات التي وجهت لفلسفة فجنشتين سواء فلسفته الأولى أو المتأخرة، حيث مثلت نقطة إنعطاف حقيقية فيتاريخ الفلسفة من حيث أنها غيرت مسارها بل ومفهومها، ووظفتها وحتى مجالها.

فالرسالة المنطقية الفلسفية وبالرغم من التعقيد الذي اتصفت به ،إلا أنه لا يمكن لأحد أن ينكر مدى أهميتها ، فهي قد مثّلت ـ وباعتراف الكثير من الفلاسفة نقطة تحول كبيرة في الفكر الفلسفي، ولا تكمن أهميتها في رفضها للميتافيزيقا (فهي حتما وقعت في فخها) ولا إلى يقينية ما ورد فيها (لأن المسألة حسمها فتجنشتين نفسه) بل إلى منهجها الأصيل في معالجة القضايا الفلسفية، ولا أقصد بذلك فقط المنهج التحليلي للغة الذي كان له دور كبير في معالجة القضايا الفلسفية ومعرفة أسباب تعقيدها وإزالة سوء الفهم حولها. بل المنهج النقدي الذي استهدف من خلاله إخراجها من دائرة التسليم ووضعها موضع إستشكال، كما أنها أحدثت نقلة نوعية في الفلسفة حينما جعلت من اللغة محورا هاما في البحث الفلسفي المعاصر، واعتبارها وسيلة لفض المشكلات الفلسفية واكتشاف العالم، وكان نتيجة لتلك النقلة النوعية ظهور إحدى أكبر الحركات الفلسفية في القرن العشرين وهي الوضعية المنطقية التي اتخذت ـ في مرحلتها الأولى خاصة . من أفكار الرسالة المنطقية انجيلا لها.،وامتد تأثيرها كذلك في الفكر الفلسفي المعاصر خاصة على فلاسفة التحليل اللغوي المعاصر سواء في انجلترا (مدرستي كمبردج وأكسفورد) أو في الولايات المتحدة.

أما ما يمكن قوله حول فلسفته المتأخرة هي أنها لم تستطع سد كل الثغرات التي تجاوزها في الرسالة، إلا أنه كان لها أثر كبير في الفكر الفلسفي المعاصر وكانت نقطة الانطلاق للكثير من الاتجاهات الفلسفية المعاصرة كالفلسفة العلاجية وفلسفة اللغة الجارية .... وغيرها.

ومن خلال تحليلنا السابق لأفكار فتجنشتين توصلنا إلى نتيجة مفادها: أن ما يمكن قوله عن فلسفة فتجنشتين عموما أنها كانت ـ ورغم تقسيم الفلاسفة لها ـ تسير على خط واحد وهو تتبع تحليل اللغة وفكرة المعنى مادامت الفلسفة بالنسبة إليه بمثابة معركة ضد الفوضى أو الخلط الذي يحدث في عقولنا نتيجة سوء فهم منطق اللغة (كما ذهب إليه في الرسالة) فتكون مهمتها التحليل المنطقي للغة التي صيغت بها المشكلات الفلسفية أو سوء إستخدام وتوظيف اللغة كما في بحوث فلسفية فتكون مهمتها علاج من أمراض اللغة، وإحباط الألاعيب والأفخاخ النحوية في الألعاب اللغوية،

والواقع أن فلسفة فتجنشتين هي فعلا كما أشار إسلام عزمي في مقدمته لكتاب تحقيقات فلسفية[23]، لا تحتل مكانة مرموقة في إطار الفلسفة التحليلية وحدها، بل في خضم الفلسفة المعاصرة كلها، التي هي فلسفة نقدية بامتياز بدأت مع فلسفة كانط، وتطورت في عدة اتجاهات: كانطية جديدة، وضعية جديدة، تحليلية، ظاهرية ،وجودية، تأويلية، نقدية واقعية ونقدية جدلية...الخ مما يثبت أصالة فلسفة فتجنشتين وموقعه في هذه الفلسفة النقدية هو نقده للميتافيزيقا ثم للفلسفة التحليلية التي ينتمي إليها وأخيرا لفلسفته الاولى

الهوامش:

1 . عزمي إسلام، لودوفيتش فتجنشتين، دار المعارف،(د.ط.ت)، القاهرة، ،ص 14.

* الأنا وحدية مفادها أن الانسان لا يستطيع أن يعرف شيئا على أنه موجود إلا إذا وقع في خبرته، وحسب لالاند فإنها مذهب يقدم كنتيجة منطقية حاصلة على اثبات الخاصية المثالية للمعرفة.

2 . عزمي إسلام، لودوفيتش فتجنشتين،مرجع سابق ، ص 33.

3 . هانس سلوجا، فتجنشتين،تر صلاح اسماعيل،المركز القومي للترجمة،ط1،القاهرة، 2014، ص 13.

4 . عزمي إسلام فجتنشتين وفلسفة التحليل،عالم الفكر، المجلد الثالث،عدد 4، ص 230.

5. عزمي إسلام، لدفيج فتجنشتاين، مرجع سابق، مقدمة المؤلف ص 8.

6 . لودفيج فتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، تر عزمي إسلام،مكتبة الأنجلو المصرية،(د.ط)، القاهرة، 1968،ص 36 .

7 . محمود شوكت شتيه ، لودفيج فتجنشتين من اللغة المنطقية إلى منطق اللغة، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 46، العدد 1، 2019، ص 68.

8 . صالح اسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير،(د.ط.ت)، لبنان،ص 68.

9 ـ لودفيج فتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، مرجع سابق، ص 67.

10 . لودفيج فتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، مرجع سابق، ص 72.

11 ـ عزمي إسلام، لدفيج فتجنشتاين، مرجع سابق، ص 312.

12 ـجمال حمود، فلسفة اللغة عند لودفيج فتغنشتين،منشورات الإختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون ط1، الجزائر ـ بيروت، 2009، ص 176.

13. لودفيج فتجنشتين، تحقيقات فلسفية، تر عبد الرزاق بنور، مركز دراسات الوحدة العربية، ، ط1،بيروت، 2007، ص 46.

14. المصدر نفسه، ص 66

15المصدر تفسه، ص 54.

16المصدر نفسه ،ص ص 157 . 158.

17 ـ هانس سلوجا،فتجنشتين ، مرجع سابق، ص 33.

18. لودفيج فتجنشتين،تحقيقات فلسفية ، ص 47.

19 . المصدر نفسه،ص 70.

20. المصدر نفسه، ص 196.

21 ـ لودفيج فتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، مقدمة المترجم، ص 19.

22 ـ المصدر نفسه، نفس الصفحة.

23 ـ أنظر مقدمة عزمي إسلام لكتاب بحوث فلسفية ص 29.

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر:

1 . فتجنشتينلودفيج ، رسالة منطقية فلسفية، تر عزمي سلامة،مكتبة الأنجلو المصرية،(د.ط) القاهرة، 1968.

2 ـ فتجنشتينلودفيج ، تحقيقات فلسفية، تر عبد الرزاق بنور، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، بيروت،2007.

المراجع:

1حمود جمال ، فلسفة اللغة عند لودفيج فتغنشتاين،منشورات الإختلاف /الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر/ بيروت 2009.

2. صالح اسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير،(د.ط ،ت)، لبنان.

3 ـ عزمي إسلام، لودوفيتش فتجنشتين، دار المعارف، (د.ط.ت)، القاهرة.

4 ـ هانس سلوجا،فتجنشتين،تر صلاح اسماعيل،المركز القومي للترجمة، ط1،القاهرة، 2014.

المجلات:

1 . عزمي إسلام فجتنشتين وفلسفة التحليل،عالم الفكر، المجلد الثالث،عدد 4.

2 ـ محمود شوكت شتيه ، لودفيج فتجنشتين من اللغة المنطقية إلى منطق اللغة، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 46، العدد 1، 2019.